مستقبل الإسلام.. والقرن الخامس عشر الهجرى

١٤٠١ هجرية

وهنا يكون الأمل فى نور الله : أن تشع هدايته فى القرن الخامس عشر الهجرى

ولكن لابنصر الله المؤمن به الا اذا هم نصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

إن الدعوة الإسلامية لم تأت وقت ان جاءت . صدفة . انما كانت بقدر الله ومشيئته . فالدعوة الإسلامية دعوة إلى اعتبار القيم الإسلامية فى حياة الناس .

إبراهيم مصبح

فى مواجهة طغيان المادية . ومصادفة هذه الدعوة رضا فى النفوس مرهونة بوصول طغيان المادية إلى القمة فى حياة الأفراد والمجتمعات أى مادامت المادية فى طريقها إلى الطغيان . ولم تصل بعد إلى القمة . فإن قبول الدعوة إلى القيم الإسلامية لايجد مجالا إلا مجال الشباب . باعتبار أن فيه فراغا لم تملأه الإغراقيات المادية بعد . ومن ثم يطارد الإيمان باقة فى قلوبهم هذه الإغراقيات ويتصارع معها .

وقدر الله ومشيئته فى انطلاق هداية الله يتحققان إذن عندما تبلغ الحياة المادية أوجها . وعندما يبلغ الطغيان بالمادة أوجه . عندئذ لا تحارب القيم الإنسانية فى حياة الناس من حاكم أو زعيم فحسب . ولايسود العبث والفساد فى السلوك والروابط فقط . إنما الذى يسود آنئذ اشمئزاز الناس من الفوضى الخلقية . ومن أنانية الأفراد وانهيارهم . وكذلك ضعف الأمل فى تفاهم الناس . فضلا عن تعاونهم . كل يريد ذاته فقط . كل يبغى مصلحته على حساب مصلحة الآخر . لا يعرف قانون ولاعرف فى مجتمع . إنما الأمر الذى يعرف فقط هو القوة : قوة الجاه . قوة العضلات . قوة المال . قوة العصبة أو الحزبية .

إذن فهنا أمران أو مقدمتان لابد من اعتبار وجودهما عند الحكم على مستقبل الإسلام فى القرن الخامس عشر الهجرى كما هو الوضع دائما على عهد أية رسالة سماوية . ويقرر المفكر الإسلامى الدكتور محمد البهى – فى كتابه عن مستقبل الإسلام والقرن الخامس عشر الهجرى . الذى صدر له عن مكتبة وهبة بالقاهرة – ان هذين الأمرين أجملتهما هذه الآية الكريمة « الله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور .

والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات »

أولا : الدعوة الإسلامية على النقيض تماما من طغيان المادية . فبينما تسود فى عهد الدعوة الإسلامية ، القيم الإنسانية من التعاون ، والمشاركة ، والتواد والأخوة ، فى حياة الناس ، إذ بالعكس تماما من الأنانية ، واعتداء القوى على الضعيف ، وتحكيم المادة وحدها هى السائدة فى عهد طغيان المادة .

ثانيا : يتحول الأمر إلى نقيضه عندما يبلغ الأمر نهايته ، ومعنى تحوله إلى نقيضه قبول الناس بهذا النقيض ورضاؤهم رضاء نفسيا به إلى درجة التضحية فى سبيل بقائه ، عندما يبلغ الأمر حدا تضيق النفوس منه ، وتتمنى زواله ، وتطبيق ذلك : أنه لحظة أن يبلغ الطغيان بالمادية الدرجة التى تضيق النفوس ، وتتمنى من أجل ذلك زواله : يولد قبول النور الإلهى ، لدى الأفراد والمجتمعات ، وهو نور الرسالة الإسلامية التى تدعو إلى الروابط الإنسانية والمستوى الإنسانى الكريم فى حياة الناس ، والتى تؤثر المعانى والقيم الإنسانية عندما تتعارض الإغراءات المادية أمام الإنسان .

طغيان المادية إذن ، وهو الطاغوت ، نقيض لسيادة القيم الإنسانية ولكن لا يضيق الناس من سيادة القيم الإنسانية فى حياتهم ، فتلهم يكون بسبب الطاغوت أو بسبب طغيان المادية وحدها . فطغيانها مصدر الشرور والأمراض الاجتماعية والانحرافات الخلقية ، وسوء العلاقات والخصومات بين الناس جميعا .

هذان الأمران وجدا عند كل رسالة سماوية جاء بها رسول من عند الله وجد الأمر الأول : فى دعوة الإسلام ، أو الدعوة إلى القيم الإنسانية فى رسالة الرسول التى طلب منه أن يبلغها إلى مجتمع بعينه .

ووجد الأمر الثانى : وهو طغيان المادية فى المجتمع الذى أرسل إليه بالرسالة الإسلامية .

فرسالة صالح إلى ثمود : توافر فيها طلب العدل بين الضعفاء والأقوياء على السواء فى مجتمع ثمود ، ومجتمع ثمود كان قد طغت فيه المادية حتى أصبح الحق والعدل فى جانب الزعماء الأقوياء وحدهم ، وهم الأثرياء الذين احتفظوا بالمراعى الماحة ، ومياه الآبار العامة لأنعامهم وحدها ، تاركين الضعفاء وهم الأتباع يتذللون لهم من أجل مشاركة مافى المرعى والسقى .

فالدعوة إلى الحق والعدل دعوة إلى القيم الإنسانية ، ومنع الضعفاء من المشاركة فى الحياة العامة طغيان للمادية ، فالكبار والزعماء يرون أنهم وحدهم ، لاغيرهم أحق بالحياة ، فهم أنانيون والقهون تحت إغراء الزعامة .

ورسالة شعيب إلى أهل مدين : توافر فيها أيضا طلب العدل فى المعاملات التجارية ، وعدم بخس الناس أشياءهم عن طريق أصحاب رءوس الأموال ، ويقول الله فى ذلك « ويأقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ، ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا فى الأرض مفسدين » والعدل قيمة رئيسية بين القيم الإنسانية . كما ساد فى مجتمع مدين بخس الناس أشياءهم . وهو طغيان عن طريق المادة حتى أصبح هذا الطغيان عادة وعرفا . ولذا استنكر التجار وأصحاب رءوس الأموال دعوة شعيب إلى العدل . عندما دعاهم إليه :

« قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء » .

ودعت رسالة موسى بنى إسرائيل إلى نجدة الطغيان فى الاتجاه المادى بعد أن ساد فى مجتمعهم ، وكما دعت إلى تبنى القيم الإنسانية فى علاقتهم بعضهم ببعض ، ودعوة الله هى تبنى هذه القيم . وآيات القرآن الكريم تقص ماكان من طغيان بنى إسرائيل طغيانا ماديا لأنهم آثروا الدنيا وحدها ، بلغ قمته وأوجه ، حتى أصبح وقت الدعوة إلى القيم الإنسانية فى رسالة موسى قائما بالفعل . فجاء موسى عليه السلام بالرسالة لهم .

وصل الأمر فى مجتمع عيسى من بنى إسرائيل الذى أرسل اليه : أن استغل قبل رسالته مباشرة رجال الدين الناس ، وأخذوا أموالهم مرة باسم (النذور) وأخرى باسم (الهبات) وجمعوا بحكم مركزهم الدينى ثروة طائلة من أقوات الفقراء والمساكين ومعنى ذلك أن مجتمع بنى إسرائيل

الذى أرسل إليه عيسى المسيح وصل الاتجاه المادى فيه إلى الطغيان كذلك ، إلى درجة : أن الزعماء من بنى إسرائيل – وهم رجال الدين ، كانوا القدوة السيئة فى جمع المال وتكديسه ، وحرمان الفقراء وأصحاب الحاجة منه .

ورسالة عيسى المسيح هى رسالة الإسلام ، أو رسالة القيم الإنسانية فى علاقات الناس بعضهم ببعض . فالمقدمتان وجدتا :

إحداهما على الرأى الأخرى مباشرة أو مع الأخرى :

– طغيان المادية

– والدعوة إلى القيم الإنسانية .

ورسالة الرسول محمد ﷺ ، هى أيضا رسالة القيم الإنسانية ، جاءت بعد أن بلغ الطغيان المادى أقصى ما يبلغه ، وقت مجيئه . وهذا الطغيان كان فى شبه الجزيرة ، كما كان فى الجوار فى الإمبراطوريتين :

الرومانية والفارسية . وبعثت الرسول ﷺ ، إذن إلى امبراطور فارس ، وامبراطور الرومان ، كانت متممة ، لتبليغ رسالته إلى قريش فى مكة ، وإلى قبائل العرب الأخرى فى شبه الجزيرة . وكانت الفتوحات الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ ، هى كذلك من تمام تبليغ الرسالة الإلهية .

والجهاد فى سبيل الله يعتبر ضرورة كان على المسلمين أن يقوموا به لذات الرسالة ، لأنها رسالة الإسلام أو رسالة القيم الإنسانية إلى كل مكان طغت فيه المادية .

ربح البيع

« ما برب قرب الحق تبارك وتعالى : من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة .

قال الصحابى أبو الدحداح : أو يستقرضنا الله من عباده يا رسول الله . قال الرسول نعم فقال الصحابى أبو الدحداح : أمدد يا رسول الله يدك . وأشهدك أنه تصدق ببستانه الذى لا نخل غيره – وكانت فيه ستمائة نخلة مثمرة ثم عاد الصحابى إلى زوجته وكانت تقيم مع أولادها فى البستان ، فأخبرها بما صنع

وغادرت البستان هى وأولادها وهى تقول ربح البيع يا أبا الدحداح

وحتم الرسالة الالهيه بالرسول ﷺ يجعل من المؤمنين به أصحاب حق فى مواجهة المادية بعد الرسالة وبعد الرسول : فى كل زمان ومكان . وفى الوقت نفسه يجعل من واجبهم نحو الله أن يؤدوا هذا الحق ما استطاعوا إليه سبيلا .

وإذا كانت الرسالة الإلهية قد شاءها الله

إذاعة صلاة الجمعة من المنصورة . .

تذاع شعائر صلاة الجمعة القادمة – ٩ مايو – من مسجد الشيخ حسنين بالمنصورة من إذاعة البرنامج العام بمناسبة احتفالات الدقهلية بعيدها القومى

وأرادها فيما مضى وأرسل بها رسولا عندما يتفاقم خطر المادية ويصل أمرها إلى الذروة فى المجتمعات البشرية فالجهاد المفروض بعد ختم الرسالة بالرسول محمد ﷺ ، وهو فرض عين لا يوقت بوقت واحد ، إنما يؤدى بالنسبة لكل فرد حسب إمكانياته وحسب وسيلته ، التى يباشره بها . والحديث الشريف الذى ينص « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » . . يوضح أن الجهاد فرض عين إلى يوم البعث ، وأن له صورا عديدة حسب الاختلاف فى الاستطاعات البشرية .

* فالشباب : يصرف قوته فى أخذ نفسه بالتوجيه الإسلامى وبالتربية الإسلامية ، وسط هذه الجاهلية والمادية التى تحيطه بالفتن والمغريات والمنع المادية .

والأثرياء : يجب أن يباشروا جهادهم بدعم التوجيه الإسلامى والتربية الإسلامية ، والترابط على أسس إيمانية إسلامية ، مما ينفقونه فى سبيل الله من أموالهم .

* وأصحاب الجاه أو السلطة : مجاهدهم وسلطتهم بتمكينهم أن يقفوا ضد الفساد والتحلل فى صوره المختلفة والفساد والتحلل من مظاهر المادية .

وأصحاب الفكر أو القلم * عليهم أن يباشروا الجهاد المفروض عليهم فرضا عينيا فى توضيح الإسلام للشباب والعامة وفى الرد على ما يثار من شبهات ، أو على ما يذكر من مبررات الانحراف والإلحاد .

أما ارباب العصبية : فجهادهم فى سبيل الله : أن يسخروا قوة هذه العصبية فى توجيه الخير ، ودفع الضرر والباطل .

وبأداء الجهاد فى صوره المختلفة وفى فورية لا تقبل التأجيل : يبدأ دفع الباطل ، وتقليص الاعتداء ، ورد الطغيان المادى ، وكلما انحسر طغيان المادية انفسح المجال لتثبيت القيم الإنسانية .

فأقم وجهك للدين حنيفا

للمسيح الإسلامى عدة خصائص تجعل طريقه إلى قلوب البشر صحبا سهلا ، متى وجد الدعاة الواعين القادرين – بما هم من حكمة وحصانة على التوصيل .

والناس صنفان : صنف يحفظ الخليقة ويصونها ، ويؤديها سليمة وافرة ، وصنف آخر هم القدرة على الفقه والاستنباط .

وأول الصنفين ضرورى لإنجاح مهمة الصنف الآخر .

وقد اجتمع الأمران فى رسل الله تعالى : لأمانة فى التبليغ مع الفقه والفهم .

وهناك أمور أخرى تسمو بالمسيح الإسلامى ، وهى تنبع من جوهره ، وتنشأ من التناسق الفريد ، والتصور الحكيم المحكم للحياة والناس ، ضرورة أنه من لدن حكيم خبير خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، فشرع له ما يصلحه ، ويصلح له ، ويخلق له خير الدنيا والآخرة ، ويمنحه الحياة الطيبة فى عاجل أمره وآجله ، وقد قال تبارك وتعالى : « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »

ومن هذه الخصائص الاتساق التام بين الإسلام وفطرة الإنسان . وإذا قلنا الفطرة فإنما نعنى الخصائص والتوازع الإنسانية التى خلق الله الإنسان عليها ، بعيدا عن التأثر بموروثات الآباء والأجداد ، أو مؤثرات البيئة التى تلزم الإنسان بأنواع من السلوك ، والأعراف ، لا يستطيع عنها حولا ، ولا يملك منها خلاصا .

وهذه الفطرة كما هى غير متأثرة ببيئة أو تقليد لا تجد عسرا فى قبول الدين الحق ، والانصياع له ، لأنه عندما يأتيها الدين الحق من عند الله تحس به متجاوبا مع مطالب النفس وآمالها ، محذرا لها مما تحذر منه بطبعها .

يقول تبارك وتعالى عن دين الفطرة : (فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها) .

ويتحدث الرسول ﷺ عن هذه الفطرة مادامت بمعزل عن المؤثرات الخارجية فيقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

فالفطرة الإنسانية تعنى الاستعداد التام للخير ، والتأهل له ، والله الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، منحه الدين القيم الذى يسمو به فى علين . فإذا تغلب عليه الهوى ، وطغت عليه سليات البيئة ردته إلى أسفل سافلين .

والإنسان والدين كلاهما من صنع العليم الحكيم (صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون)

والساق الدين مع الفطرة السوية تؤكده مظاهر عدة

أولها : بساطة العقيدة .

العقيدة الإسلام تقبلها النفوس فى يسر ، إذ هى تقوم على أسس فطرية سوية ، لا تجهد العقل فى تصورها ، ولا فى الاقتناع بها : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)

فالذات الإلهية واحدة ، والله وحده المستحق للعبادة .

أعنى وحدة الذات ووحدة العبادة .

والفطرة السليمة لا يمكن أن تقبل غير هذا .

ومن عدا الله وما عداه عباد متساوون يتفاضلون بالتقوى وصالح الأعمال ، فليس فى عقيدة الإسلام غموض أو ألغاز ، ولا تحتاج فى إدراك جوانبها إلى مقدمات فلسفية غارقة فى الإبهام ، ولا تضطر لحل رموزها غير المعقولة إلى اختراع القصص وابتكار المسرحيات .

والعلاقة بين المعبود والعباد لا يحكمها شفيع أو وسيط ، فليس بين الله وعباده بشر أى بشر يقدم أو يؤخر .

وبكلمنا نتصور فطريتها ، وتملكها للمشاهر الإنسانية المستقيمة بحكمة واقتدار أن نسمع أو نقرأ هذه الآيات .

يقول تعالى مخاطبا نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام ، وفى توجيه الخطاب له فى هذا الموقف مغزى عظيم : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » .

ويقول تعالى : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا)

ويقول تعالى : (قل : لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى) .

والنبوة مكانة سامية يصطفى لها الله من يشاء من عباده ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، والنبى بشر معصوم من الناس ، ومن هوى النفس حتى يبلغ شريعة ربه سليمة وافرة .

لهذا لا نرى فى فهم العقيدة الإسلامية ، ولا فى تصورها غموضا يجعلنا نقف أمامها فى صغار بلا يقين ، أو فى إذعان بلا فهم .

د . السيد الطويل